المحاضرة الخامسة

تعليم اللغة العربية في مرحلة التعليم العام
في الجمهورية التونسية، دراسة وتقويم"

الأستاذ الدكتور أحمد العايد

عضو جمعية المعجمية– تونس

الثلاثاء 26 صفر 1421هـ 30 أيّار 2000م

إنّ التعليم ضرورة إنسانية اجتماعية واقتصادية وهو أهم وسيلة لإعداد الموارد البشرية وتطوير فئات المجتمع وتأكيد الانتماء الوطني .

أوّلاً: في القانون الأوّل للتربية والتعليم في 4 نوفمبر 1958، سنتين بعد الاستقلال وقد جاء ما يلي:

الفصل الأول: التربية والتعليم يهدفان إلى الأغراض الجوهرية الآتية:

١ - تزكية الشخصية وتنمية المواهب الطبيعية عند جميع الأطفال ذكوراً وإناثاً بدون تمييز بينهم لاعتبار جنسي أو ديني أو اجتماعي .

٢ - إعداد الطفل للقيام بدوره كمواطن وإنسان وتكوين الإطارات الصالحة.

الفصل الثاني: أبواب التربية والتعليم مفتوحة في وجه جميع الأطفال ابتداء من سن السادسة...

الفصل الثالث: التعليم مجاني في جميع درجاته والغرض من مجانيته تمكين جميع الأطفال من تكافؤ الفرص أمام التربية والتعليم .

الفصل السابع: التعليم الابتدائي واحد بالنسبة للجميع وغايته الجوهرية تمكين الطفل من المعارف والأجهزة العقلية الأساسية في ميداني اللغة والحساب وتكوينه تكويناً يرمي إلى إبراز إمكانياته وإلى تحقيق الملاءمة بينه وبين بيئته وإلى الكشف عن مواهبه كشفاً يضمن توجيهه في المراحل التالية من تعلّمه.

الفصل الثامن: يشتمل التعليم الابتدائي على مرحلة تعليمية تدوم مدّة ست سنوات .

ولنعلم أن التعليم (عهد الاستعمار الفرنسي الذي دام خمساً وسبعين سنة 1881 إلى 1956) قبل الاستقلال، كان كما يلي:

١ - **بالتعليم الابتدائي:** كان نظام التعليم غير موّحد وغير منسجم (مدارس فرنسية، مدارس فرنسية وعربية، مدارس قرآنية عصرية، كتاتيب).

وبالتعليم الثانوي: كانت معاهد ثانوية ذات طابع فرنسي، المعهد الصادقي بالعاصمة والأقسام التونسية بالمدن الكبرى، التعليم الزيتوني وفروعه بأهمّ المدن وخاصة تونس.

٢ -كان التعليم تحت تأثير الهيمنة الفرنسية إذ كانت اللغة العربية تعامل"لغة أجنبية"، وكان محتوى التعليم خالياً من كلّ مرجع وطني.

٣ -كان التعليم يفتقر إلى نظرية تربوية، إلى تصوّر بيداغوجي وإلى تنظيم تونسي صرف يأخذ في الاعتبار تطوّر الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية في البلاد ويطمح إلى بناء نظام يراعي التطور الديمغرافي ويسعى إلى تعميم التعليم على أطفال البلاد كافة وينتقل من التعليم النخبوي الضيق على التربية الشاملة أي من "إدارة التعليم العمومي" عهد الحماية إلى "كتابة الدولة للتربية القومية" أي الوزارة إحدى أركان الدولة، وكما جاء في الفصل الأول من الدستور:"تونس دولة حرة مستقلة، ذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامها" .

وكما نعلم إنّ النظام التربوي هو مجموعة عناصر إذا توفرت وتداخلت تكاملت حققت الكم والكيف أو الكمّ بلا كيف أو بعض الكمّ وبعض الكيف. فما نصيب النظام التربوي التونسي من توفير التعليم للجميع والحدّ من الأمية والتحرر منها.

إن حظ تونس في واقع الأمر أنها صمدت بفضل مؤسستين كبريين أمام الاستعمار الفرنسي الذي حاول مدة 75 سنة مسح الهوية التونسية العربية الإسلامية أو النيل منها، أوّلهما:

– جامع الزيتونة الذي أنشئ سنة 114 للهجرة الموافق لـ732 للميلاد قرناً بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقبل جامع القرويين بفاس وجامع الأزهر بالقاهرة.

كان التعليم به تقليدياً لكن إصلاحات شملته آخر القرن التاسع عشر وخاصة في النصف الأول من القرن العشرين بفضل شيوخ أفاضل: سالم بوحاجب ومحمد

النخلي وخاصة الإمام محمد الطاهر بن عاشور (1879–1973) صاحب كتاب "أليس الصبح بقريب" وصاحب تفسيره الشهير "التحرير والتنوير": تحمّل الشيخ ابن عاشور مسؤولية إدارة الجامع الأكبر فأصلح نظام التعليم وشجّع على إصدار كتب تعليمية جديدة وتطبيق طرائق تدريسية متجددة غير تلقينية أي استقرائية اكتشافية وظهرت لجامع الزيتونة فروع داخل الإيالة التونسية عهده .

– المدرسة الصادقية: التي أنشأها المصلح الكبير الوزير الأكبر خير الدين باشا يوم 13 يناير 1875، ست سنوات قبل الحماية الفرنسية على الإيالة التونسية، 12 ماي 1881.

كان التعليم بالمدرسية الصادقية ثنائي اللغة بالعربية والفرنسية وكان متخرجوها، بالعاصمة بعد الحرب العالمية الثانية بالأقسام التونسية في سوسة وصفاقس وبنزرت... يجيدون اللغتين والثقافتين العربية الإسلامية والفرنسية، ومن هذه المدرسة تخرج كبار القياديين السياسيين ومنهم رئيس الجمهورية التونسية الأول الزعيم الحبيب بورقيبة والرئيس زين العابدين بن علي والأطر الوطنية التونسية الذين بنوا الجمهورية التونسية وأسهموا بعد جهاد افتكاك الاستقلال في الجهاد الأكبر جهاد الخروج من التخلف ووضع تونس في مسار الدول العصرية المتطورة باطراد وأسهموا منذ تحوّل 7 نوفمبر 1987 في استمرار التعصير والتحيين والتنمية المادية والفكرية والاعتماد إلى الموارد البشرية .

التعليم الابتدائي: منذ الاستقلال تبعاً للقانون الأوّل للتعليم المذكور، نوفمبر 1958 على سنة 1991 كان التعليم الابتدائي ذو الست سنوات مجانياً وهو بدون أن يكون إجبارياً كان حقاً للجميع أي كان يتم ترسيم كل البنين والبنات البالغين سن الدراسة الذين يتقدمون إلى المدرسة .

ملاحظة: قبل الاستقلال: كان في سنة 1949، عهد الحماية الفرنسية (1881–1956) عدد الأطفال التونسيين الذين هم في سن الدراسة 95000.775000 منهم فقط مرسّمون بالمدارس أي بنسبة 12 بالمائة.

أما عدد الأطفال الفرنسيين المقيمين في تونس الذين هم في سن الدراسة فكانوا 26000.27500 منهم مرسمون بالمدارس أي نسبة 94 بالمائة. أما نسبة الأوروبيين عامة فكانت 77 بالمائة .

وسنحاول في إيجاز أن نتابع في التعليم الابتدائي منذ الاستقلال إلى اليوم (1956-1999) تطور عدد التلاميذ وعدد المدارس وعدد المعلمين في الجمهورية التونسية.

1- **التطور الكمّي في تونس** : في الابتدائي تطوّر عدد التلاميذ وعدد المدارس وعدد المعلمين في بعض السنوات على سبيل السبر وباختصار:

السنة	التلاميذ	المدارس	المعلمون
1957-1956	226.919	794	5440
1967-1966	777.686	2005	14.128
1972-1971	934.827	2214	18.172
1976-1975	920.924	2321	23.983
1987-1986	1.319.372	3503	40.978
1992-1991	1.417.803	3940	53.652
1993-1992	1.432.112	4044	54.652
1994-1993	1.467.411	4164	55.720
1995-1994	1.460.101	4349	59.432
1997-1996	1.455.000	4404	59.550
1999-1998	1.436.896	4441	59.877

إنّ قرار تعميم التعليم الابتدائي 1958 (سنتين بعد الاستقلال) عملاً بمبدأ ديمقراطية التعليم والقضاء على ما خلّفه الاستعمار الفرنسي من جهالة آل إلى نمو كبير في عدد التلاميذ سايره نمو في الحاجات المادية (بناءات، تجهيزات...) وتزايد في عدد المعلّمين وتزايد مطرد في ميزانية وزارة التربية التي بلغت في

الستينات حوالي 30 بالمائة من ميزانية الدولة و 9 بالمائة من ناتج القومي الخام (مثلاً من 1974 إلى 1976 حوالي 7.5 بالمائة) وإذا قارنا هذه النسبة بنسبة ما كانت تخصصه، مثلاً، الولايات المتحدة وهولندا 6.5 بالمائة أو الدول الاشتراكية ما بين 4 و 6.5 بالمائة وجدنا مجهود الدولة عظيماً في ميدان التربية والتعليم وهو ما زال مستمراً إلى اليوم.

2- **التطوّر الكيفي أو النوعي:**

حرصت كتابة الدولة للتربية والتعليم أي وزارة التربية القومية منذ الاستقلال على مواجهة الكم والكيف ولنذكر أهم الإصلاحات المتعلّقة بالكيف، بنوعية التربية والتعليم:

- سنة 1958: تمّ توحيد التعليم من حيث الهياكل والبرامج والمناهج والوسائل التعليمية وضبطت مدّة التعليم الابتدائي الموحد بست سنوات وقد كان مشتتاً، مختلف النزاعات والبرامج كما ذكرنا .
- سنة 1969: تمت تونسة إطار التعليم فاستغنت، في التعليم الابتدائي، الوزارة عن المعلمين والمديرين الفرنسيين وغيّرت البرامج والمناهج في اتجاه التونسة وبعثت 22 تفقدية جهوية في 18 ولاية تحقيقاً لمبدأ اللامركزية.
- 1974-1975: تمّ بعث أوّل مركز للتدريب المستمر، "المركز القومي للتكوين المستمر بقربة"، كان هذا المركز تجريبياً ونقطة إشعاع وطنية كوّن المدربين ودرّب المعلمين والمساعدين البيداغوجيين ونظّم ندوات تدريبية للمتفقدين الجهويين وإطارات دون المعلمين والإطارات الإدارية بالتعليم الابتدائي.

وقد أنشد الأستاذ الهاشمي زين العابدين المتفقد الجهوي بتونس يوم تدشين هذا المركز، 26 أكتوبر 1974 أمام وزير التربية القومية ووالي نابل ومدير التعليم الابتدائي ومسؤولية الجهة والأساتذة والمدرسين والمدربين قصيدة منها هذه الأبيات:

توقٌ إلى الأوْج بالأشواق يلتهب ولُجّة برؤى الآمال تصطخب
وأمّةُ رؤُحها بالرّشد نابضة وهل سوى العلم في تحقيقه أربُ

قالوا بقربة دارٌ لو حللت بها ألفيت فيها قلوباً بالنُهى تجبُ
قلت السبيل هنا رغم الولُود وما للشعب غيرُ ديار العلم مُطَلب
وقُريةُ اليوم إذ نأتي كواحدة ففي غد قُربةُ فوق الملا قُربُ

ثم بعثت بوزارة التربية إدارة البرامج (المناهج) والتكوين المستمر التي أنجزت حلقات تدريبية لأصناف المدرسين كافة (معلمين وأساتذة).

- سنة 1975-1976: تمت تونسة إطار الإشراف البيداغوجي والاستغناء عن المساعدين البيداغوجيين والمتفقدين الفرنسيين مما حمل إدارة التعليم الابتدائي على التفكير في تعريب التعليم في الابتدائي وفي دور المعلمين المسماة:"مدارس ترشيح المعلمين والمعلمات" وتحويل هذه تدريجياً إلى مراكز جهوية للتكوين المستمر بالإضافة إلى التكوين الأساسي ونشر الطرق التربوية المستحدثة: الطريقة الحوارية، الترغيب في المطالعة، التدريب على العمل اليدوي، الاعتناء بالمدارس الريفية للحد من التفاوت بين الجهات، ترقية المدربين والمعلمين الأكفاء إلى صنف معلّم تطبيق .
- سنة 1977-1978: تعريب المواد العلمية في السنة الثالثة من التعليم الابتدائي وتعريب التعليم في دور المعلمين في مواد الرياضيات والعلوم الطبيعية والتربية الفنية والتربية المدنية والأشغال اليدوية والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس التربوي والبيداغوجية العامة وبيداغوجية التربية الفنية والأشغال التطبيقية والتربية البدنية- وكان المتخرجون يتحصلون على شهادة ختم الدروس الثانوية الترشيحية المعرّبة مما يمكنهم من التدريس بالتعليم الابتدائي المعرّب.

والملاحظ أن مستوى اللغة العربية بالتعليم الابتدائي كان مرضياً.

- سنة 1978-1979: تم تعريب المحيط المدرسي والمراسلات والوثائق بوزارة التربية القومية تبعاً لمنشور 23 جوان (يونيو) 1978. وكان لي حظ أن

أسهمت في كل هذه الإجراءات من 1973 إلى 1978 لأني كنت مدير التعليم الابتدائي بوزارة التربية القومية.

- 1980-1987: امتحان الدخول إلى السنة الأولى من التعليم الثانوي حسب النظام المعرّب ونجاح كبير بنسبة 42.7 بالمئة (وقد كانت النسبة قبل التعريب تتراوح بين 25 و 30 بالمئة وذلك لحرصنا على التقويم المتشدد وعلى المستوى المرضي لخريّجي التعليم الابتدائي.

ثانياً: القانون الثاني للتربية والتعليم: فهو قانون 29 جويلية (يولية) 1991: إنّ الوعي بطبيعة مشكلة التعليم من أجل تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع ذكوراً وإناثاً آل إلى إجبارية (إلزامية) التعليم منذ القانون الثاني للتربية والتعليم، سنة 1991 بالإضافة إلى مجانيته منذ الاستقلال وفتحه في وجوه جميع الأطفال ابتداء من سن السادسة.

هكذا فإن النظام التربوية التونسي هو الآن كما يلي: التربية قبل المدرسية: بإشراف وزارة الشباب والطفولة، التعليم الأساسي بمرحلتيه (الأولى 6 سنوات- الثانية 3 سنوات) والتعليم الثانوي (4 سنوات): يعودان بالنظر إلى وزارة التربية، التعليم العالي بإشراف وزارة التعليم العالي، محو الأمية وتعليم الكبار: من مشمولات وزارة الشؤون الاجتماعية، التكوين المهني: بإشراف وزارة التكوين المهني والتشغيل.

وقد جاء في هذا الباب الثاني في المتعلمين الأساسي والثانوي في الفصل 8 منه:"مدة التعليم تسع سنوات وهي تهدف إلى تمكين المتعلم من أدوات المعرفة والآليات الأساسية في التعبير الشفوي والكتابي والقراءة والحساب ومساعدته على تنمية ذهنه وذكائه العمل وحسّه الفني ومؤهلاته البدنية واليدوية وتربيته دينياً ومدنياً".

وجاء في الفصل 9 من القانون المذكور: "تدرّس كل المواد الإنسانية والعلمية والتقنية في مرحلتي التعليم الأساسي باللغة العربية"، وملامح التعليم الأساسي العامة هي: تكريس مبدأ مجانية التعليم.

– اعتبار التعليم الأساسي حلقة بذاتها من سن السادسة إلى السادسة عشرة، مع إمكان الرسوب مرتين وهو إجباري، ضمان تكافؤ الفرص ما دامت الدراسة متواصلة بصورة طبيعية مما يحدّ من ظاهرة الانقطاع، غرس القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان لدى الناشئة وتدريبهم على الحياة الجمعياتية، تدريس كل المواد الإنسانية والعلمية والتقنية باللغة العربية مما يجعل المتخرج من التعليم الأساسي ذات شخصية متوازنة الجوانب قادرة على استعمال اللغة العربية شفوياً وكتابياً فهماً وتعبيراً وتبليغاً، ذا رصيد علمي مرتبط بالمحيط وبالحياة المتطورة في العالم المعاصر مع عدم إهمال تدريس اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والإنكليزية.

وتجدر الإشارة إلى أن قانون نوفمبر 1991 المتعلق بحقوق الطفل، الذي بمقتضاه، تضمن الدولة للطفل حق التعلم وحق الترفيه والألعاب وحق تلقي المعلومات الثقافية...

ولا ننسى أن الجمهورية التونسية وقعت وثيقة حقوق الطفل التي صادقت عليها الأمم المتحدة في نوفمبر 1989.

وينبغي التذكير بأن حكومة الجمهورية التونسية حاولت محاولات عديدة منذ الاستقلال للحد من ظاهرة الأمية في وزارات مختلفة (التربية، الثقافة، الشؤون الاجتماعية...) ونسبة الأمية في تونس هي حوالي 27% (شريحة منهم ممن تجاوز الخمسين من العمر لم يذهب إلى المدرسة، وشريحة منهم ممن كانوا في أماكن نائية بعيدة عن المدرسة الابتدائية وخاصة البنات فلم يزاولوا تعليمهم، وشريحة ممن انقطعوا عن الدراسة مبكراً فارتدوا إلى الأمية، إلاّ أن الدولة اتخذت برنامجاً وطنياً لمحو الأمية تشرف عليه وزارة الشؤون الاجتماعية بمساعدة وزارة أخرى خاصة وزارة التربية هدفه الحدّ من الأمية قريباً بطرائق إجرائية.

التعليم الأساسية: بالمرحلة الأولى تدوم ست سنوات وبالمرحلة الثانية يدوم ثلاث سنوات.

1- بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي:

– **بالسنة الأولى:** مجموع الساعات: 22.30 ساعة .

- **بالسنة الثانية:** مجموع الساعات: 22.30 ساعة.
- **بالسنة الثالثة:** مجموع الساعات: 30 ساعة (لأن الفرنسية تدرس ابتداء من هذه السنة بمعدل 9 ساعات في الأسبوع).
- **بالسنة الرابعة:** مجموع الساعات: 30 ساعة (9.30 للفرنسية).
- **بالسنة الخامسة:** مجموع الساعات: 30 ساعة (11.30 للفرنسية).
- **بالسنة السادسة:** مجموع الساعات: 30 ساعة (11 للفرنسية).

وتدرس بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي المواد التالية: اللغة العربية، التربية الإسلامية، الحساب، الإيقاظ العلمي، التربية الموسيقية لها شريطان مسجلان للسنتين الأوليين من التعليم الأساسي، التربية التشكيلية، التربية التقنية، التربية البدنية والفرنسية في السنوات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة. كلّ المواد تدرس بالعربية إلا مادّة اللغة الفرنسية.

وقد ألّف في كل هذه المواد مربون تونسيون كتباً طبعتها ونشرتها، بأثمان في المتناول، مؤسسة تابعة لوزارة التربية وهي "المركز القومي البيداغوجي" نذكر منها ما يتصل باللغة العربية والتربية الإسلامية".

وواكب تركيز التعليم الأساسي إجراءات هامة منها:

- بعث "المعاهد العليا لإعداد المعلمين" في مستوى المرحلة الأولى من التعليم العالي بهدف رفع مستوى المدرسين في السنوات الست الأولى من التعليم الأساسي: معرفياً وتربوياً وبيداغوجياً. بعث "مراكز جديدة للتدريب المستمر وتنظيم حلقات تكوينية وطنياً وجهوياً ومحلياً لفائدة المعلمين المباشرين وإطارات الإشراف.

والأهداف العامّة لتدريس مادة اللغة العربية والأدب العربي للتلاميذ المعلمين فهي أن يكون التلميذ المعلّم: قادراً على تدريس اللغة العربية في جميع أنشطتها

الأساسية، قادراً على تبيّن أهم خصائص النصوص الأدبية والحضارية قديمها وحديثها، قادراً على التصرف في النصوص اختياراً وقراءة وتحليلاً وتأليفاً، مطلعاً على أدب الأطفال قادراً على الترغيب فيه، عارفاً بمختلف مواد اللغة قادراً على تدريسها بمختلف مواد اللغة قادراً على تدريسها، قادراً على التعبير الشفوي السليم وعلى تقويم أخطاء التلاميذ.

وتجدر الإشارة إلى أن البرامج (المناهج) الجديدة منذ إصلاح 1991 تختلف في أغلب جوانبها عمّا وضع منذ سنة 1958 اختلافاً نوعياً، فهي مناهج شاركت فيه اللجنة القطاعية لمواد العربية المكوّنة من مدرسي الأساسي والثانوي والعالي، وهم خبراء في معارف التعليم وصناعته، وفي البحث اللغوي التربوي، ممّا جعل الكتب منجزة على هيئة مرضية نصّاً (من معنى ومبنى) ورسماً وجهازاً تربوياً (من شرح وفهم وتلخيص وأجوبة عن أسئلة) حاثة ذكاء التلميذ ومحفزة إياه على التعبير الشفوي السليم وعلى التعبير الكتابي المرضي، لا سيما وأن النصوص القديمة منتقاة، والحديثة مختارة مشوقة مثلاً في السنة السادسة نجد نصوصاً عن "زرع القلب" عن "سندباد الفضاء" عن "العصر عصر الحاسوب"، عن "الإنسان الرائد" وذلك ضمن المحاور الرئيسية التالية:

– الهوية الوطنية التونسية والانتماء الحضاري، علاقة الطفل بأترابه، اللعب وأوقات الفراغ، الحياة داخل الأسرة، من مظاهر السلوك المدني حفظ الصحة، العمل، الفصول والمواسم الفلاحية، من مظاهر التنمية، روح المبادة والإبداع، العلم والتطور التكنولوجي، عالم الحيوان ...

واللغة العربية، في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، تدّرس في مواد القراءة والتعبير الكتابي ودراسة النصّ والترغيب في المطالعة والرسم والإملاء والمحفوظات وقواعد اللغة (الصرف والتصريف والنحو) حسب الأهداف التالية:

من أهداف القراءة: الوقوف على الطريف من المعاني والأساليب الواردة في النص وإبراز مواطن الجمال، استغلال الرصيد اللغوي استغلالاً يمكّن من دعم الاقتدار على التفاعل مع المكتوب .

ومن أهداف التعبير الكتابي: تحديد عناصر الموضوع والتصميم للتحرير، التحرير في مواضيع متصلة بمحاور أنشطة اللغة العربية ...

ومن أهداف دراسة النصّ: استجلاء الأفكار الأساسية والفرعية وإبراز ما بينها من صلات، تمييز المكونات النحوية من حيث الوظيفة...

ومن أهداف الترغيب في المطالعة: تحديد نوع القصة وتقديمها تقديماً كاملاً.

ومن الأهداف العامة للتربية الإسلامية:

العبادات: وهي أن يعرف المتعلم أصول العبادات وأحكامها الأساسية ليمارسها بكفاية.

الأخلاق: وهي أن يوظف المتعلم المعاني والقيم الواردة في السور والأحاديث وأن يفصح عن اعتزازه بالانتماء إلى الإسلام وانتهاجه مسلك التبصر والاعتدال والتسامح في تعامله مع الغير.

وتركز التربية الإسلامية في السنتين الأوليين على الهدى القرآني والعقيدة والأخلاق وفي السنوات الأربع الموالية على الهدى القرآني والعقيدة والعبادات والأخلاق.

أما اللغة الفرنسية فهي اللغة الأجنبية الأولى يبتدئ تدريسها من السنة الثالثة أساسي ويستمر إلى نهاية التعليم الثانوي، إلى سنة البكالوريا، أي مدة إحدى عشرة سنة وهي لغة أجنبية أولى ووسيلة تكميلية للاتصال بالغير ولاكتشاف حضارات أخرى وللنهل مباشرة من المعلومات العلمية والتقنية.

إنّ الثنائية اللغوية العربية والفرنسية Bilinguisme ابتداء من السنة الثالثة لم تبرز إضراراً بتعلّم التلاميذ إضراراً دلالة لأن تعليم اللغتين العربية والفرنسية يطبّق مناهج تعليمية محدّدة ووسائل تعليمية ملائمة وطرق تدريس مناسبة على يد معلمين وأساتذة من ذوي الكفاية العلمية والصناعية وتجدر الإشارة العلمية أن مدارك المتعلم في الثامنة أو التاسعة من العمر تسمح له بتعلم لغتين تعليماً مبكراً بشرط أن يكون المعلم ثم الأستاذ واعياً بقضايا "الثنائية" مدرّساً التدريس المرضي، معرفة وصناعة ومهارات.

ويمتحن التلميذ في نهاية السنة السادسة باختيار في المواد الأساسية منها التعبير الكتابي ودراسة النص والتربية الإسلامية.

والأهداف العامّة للبرامج (المناهج) بالمرحلة الثانية من التعليم الأساسي فأهمها: التعامل مع النصوص على اختلاف أساليبها ومحتوياتها، إغناء الرصيد المعجمي والتركيبي والأسلوبي، تناول النصوص تناولاً تحليلياً وتأليفياً وتبنّي موقف نقدي محلّل، تذوّق النصوص والوقوف على مواطن الجمال فيها وتعليل ذلك.

وبالنسبة إلى اللغة: استعمال اللغة بصفة تلقائية استعمالاً يكفل للمتعلم والمتعلمة التعبير عن مختلف الأغراض، إدراك مختلف التراكيب النحوية والصيغ الصرفية وما لها من دور في تبليغ المواد شفوياً وكتابياً، توظيف معرفته باللغة للتمييز بين مستويات الأساليب وتبيّن الظواهر الفنية في النصوص.

وتتمثل الاختيارات اللغوية في نصوص تدرّس دراسة لغوية، وتبعاً لهذه الأهداف فالمحاور بالتعليم الأساسي هي التالية:

بالسنة السابعة:

- **شرح النصّ:** الأسرة، الحيّ، الوطن، الأطفال في العالم، عالم الحيوان، شخصيات قصصية، حكايات عن الشعوب البدائية.
- **اللغة:** النحو: المكتسب في الجملة وخصائصها المعنوية والتركيبية الأساسية، الخصائص الأساسية للفعل والاسم، الوظائفية، والتركيبية، والإعرابية.
- **الصرف:** تشخيص المكتسبات في تصنيف الفعل وتصريفه واشتقاق بعض الأسماء، الأسس الصوتية لتكوين الكلمة (حروف العلة... انتظام الأصوات في مقاطع...) تصريف الفعل واشتقاق الأسماء المتصلة به... تصريف المضاعف والمهموز ...، تصريف المعتل والمزيد .
- **الإنشاء:** تدريب التلميذ على تحليل الموضوع وتخطيط مناسب له واختيار نمط الكتابة الملائم لنص الموضوع وتدريبه على مواصفات التحرير المسترسل من تدرج في الأفكار وربط بين الجمل. وعند الإصلاح تقويم عمل التلميذ، إصلاح أخطائه، جعله يسهم في إصلاح أخطاءغيره أثناء الإصلاح الجماعي.
- **المطالعة:** آثار قصصية ومسرحية وروائية.
- **المحفوظات:** من محاور شرح النص تختار مقاطع شعرية وفقرات نثرية لتوظيفها توظيفاً مناسباً في الأنشطة الكتابية والشفوية).
- **التربية الإسلامية:** المحاور هي: العقيدة والسلوك، العبادات، الهدي القرآني، الهدي النبوي.

بالسنة الثامنة:

- **شرح النص:** مسرات العائلة، مظاهر بين الحياة في الريف والمدينة، الطبيعة، الترفيه والثقافة، عظماء الإنسانية، اكتشاف العالم، مشاعر وأحاسيس.
- **الصرف:** الأسماء الدالة على الحدث أو على أحد متعلقاته (المصدر الميمي، اسم الهيئة، اسم المرة، صيغ المبالغة، اسم التفضيل) التذكير والتأنيث، معاني صيغ المزيد.
- **شرح النص:** المرأة في المجتمع، شواغل الإنسان المعاصر، الإعلام، تفاعل الثقافات، الشعوب ومعتقداتها، الفنون التشكيلية، الغناء والموسيقى والرقص، المسرح والسينما، الأدب).
- **اللغة: النحو:** تشخيص المكتسبات في مفهوم الجملة وحدودها ودرجة تركيبها، أدوات الربط المناسبة، التعبير عن المواقف والاستعمالات بالأبنية الملائمة (النداء، الاستغاثة... التعبير عن مظاهر وقوع الحدث ... الاستفهام والشرط).
- **العرض:** البحور الشعرية: المتقارب، الرمل، المتدارك، الرجز، الكامل، الوافر، الطويل، البسيط، الخفيف.
- **الإنشاء والمطالعة والمحفوظات هي مواصفات السنتين السابعة والثامنة .**

ويمتحن التلميذ والتلميذة في نهاية السنة التاسعة في امتحان "شهادة ختم التعليم الأساسي "بعد تسع سنوات من الدراسة المجانية الإلزامية".

وعلى غرار كتب الست سنوات الأولى من التعليم الأساسي المشكولة شكلاً تاماً وقد ألّف مربون تونسيون من التعليم العالي ومن التعليم الثانوي كتباً حسب المحاور المذكورة سابقاً طبعها "المركز القومي البيداغوجي" المذكور.

نلاحظ أن كتب المرحلة الثانية من التعليم الأساسي تمتاز بالتجديد من حيث المضامين بالنسبة إلى النصوص، ومن حيث عرض المسائل الصرفية والنحوية بالنسبة إلى قواعد اللغة، وبالتشويق والتبليغ المفسر بالنسبة إلى التربية الإسلامية.

ب- **التعليم الثانوي:** إن المرحلة الثانية من التعليم العام التي تسمى "التعليم الثانوي" فإنها تدوم أربع سنوات وتنتهي بامتحان "البكالوريا" أو "ختم التعليم التقني" وهي مرحلة انتقالية بين التعليم الأساسي والجامعة، ينتقل فيها التلميذ تدريجياً من التعليم العام إلى بداية الاختصاص.

ينقسم التعليم الثانوي إلى المرحلتين: المرحلة الأول تشمل السنتين الرابعة والخامسة وهو جذع مشترك تدرّس فيه المواد حسب برامج (مناهج) يتم ضبطها من قبل ذوي الاختصاص في كل مادة: أي المتفقدين والأساتذة مع التزام كامل والمرحلة الثانية من التعليم الثانوي تشمل السنتين الخامسة والسادسة يعتبر بداية الاختصاص بعد التوجيه، وتكون المواد بالنسبة إلى الجذع المشترك اللغة والأدب العربي وهو منهاج يكفي لمن يبتعد عن شعبة الآداب أن يكون له رصيد مقبول في الآداب مع إتقان اللغة هذا بالإضافة إلى التشديد على التكوين العام للتلميذ.

وجاء في الفصل 11 (الحادي عشر) تبقى من الباب الثاني من قانون 29 جويلية 1991 التعليم الثانوي مفتوح لكل حاملي "شهادة ختم التعليم الأساسي" وهو يرمي إلى تكوين الشباب تكويناً شاملاً متوازناً ويسمح له بثقافة عامة ويؤهله لحذق أحد فروع المعرفة حذقاً يمكنه إمّا من مواصلة التعلم بالمرحلة الجامعية وإما من دخول الحياة العملية وهو يشتمل على مرحلتين تدوم الواحدة منهما سنتين".

وجاء في الفصل 12 (الثاني عشر)"ترمي المرحلة الأولى من التعليم الثانوي إلى تمكين المتعلم من تكوين متوازن تتوفر فيه العناية باللغات والإنسانيات،

والعلوم، النظري منها والتجريبي، وبالتكنولوجيا، وتتكافأ في الأبعاد المعرفية والعلمية والوجدانية..".

وجاء في الفصل 13 (الثالث عشر) "ترمي المرحلة الثانية من التعليم الثانوي إلى الإعداد للاختصاص وتنمية المهارات وإذكاء المواهب وعلى مواصلة دعم التكوين الحاصل للمتعلم في المرحلة الأولى وتعميقه ترشيداً لقدرته على التفاعل الإيجابي مع تطور المعرفة وترسيخاً لملكات حب الاطلاع والتعليم الذاتي والإبداع".

وإليكم توزيع التوقيف الأسبوعي هكذا نلاحظ أن نظام التعليم العام بالجمهورية التونسية بمرحلتيه الأساسي تسع سنوات، والثانوي أربع سنوات، أطول من الأنظمة التعليمية العربية الأخرى وأن التلميذ التونسي يبقى في المدرسة الابتدائية ست سنوات، وفي المدرسة الإعدادية ثلاث سنوات، وفي المعهد الثانوي أربع سنوات، وتتوّج دراسته بعد ثلاث عشرة سنة بشهادة البكالوريا أي شهادة ختم التعليم الثانوي.

ولنقف الآن وقفة سريعة على مناهج التعليم الثانوي الذي تابع التعليم الأساسي، فكانت السنة الأولى منه حسب الإصلاح الجديد سنة 1998-1999 ونحن الآن في السنة الثانية سنة 1999-2000، وسيتقدم إلى "البكالوريا" تبعاً للنظام الجديد المتعلمون والمتعلمات في جوان (يونيو) سنة 2002 وستكون سنة 2002 سنة نهاية المسار التربوي الجديد أي نهاية الثلاث عشرة سنة حسب الإصلاح التعليمي الحالي، الإصلاح الثاني في الجمهورية التونسية .

التعليم الثانوي: يدوم أربع سنوات وبرامجه تسهم في مساعدة التلميذ على" تجذره في الهوية الوطنية التونسية وتأصله في الحضارة العربية الإسلامية وتفتحه على حضارات الإنسان، تنمية الفكر النقدي لديه وشحذ روح المبادرة والإبداع

عنده، إنماء روح المواطنة فيه بما يقتضيه من شعور بالمسؤولية وتعاون وتسامح. فماذا يدرس إذن التلميذ في إطار هذه البرامج في التعليم الثانوي؟

– **بالسنة الأولى:** يدرس التلميذ المواد التالية: الأدب المقال، تحليل النص، المطالعة، البلاغة، المحفوظات، وسنذكر من هذه المواد محاور الأدب أنموذجاً: الشعر الجاهلي (عنترة في غرض الفخر، الخنساء في الرثاء، النابغة الذبياني في المدح)، شعر الغزل بالحجاز في القرن الأول للهجرة (جميل، عمر بن أبي ربيعة)، الشعر الوطني في بداية القرن العشرين (مختارات من الشعر الوطني لأحمد شوقي وأبي القاسم الشابي التونسي)، فن الأقصوصة (منتخبات من أقاصيص محمود تيمور وعلي الدوعاجي التونسي، السيرة الذاتية (الجزء الأول من كتاب الأيام لطه حسين).

– **بالسنة الثانية:** يدرس المتعلم: الأدب والمقال وتحليل النص والمطالعة والمحفوظات والتعريب من الفرنسية إلى العربية وسنكتفي أيضاً بذكر محاور الأدب: التجديد في الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة (مختارات من شعر بشار بن برد في الغزل وأبي نواس في الخمر وأبي العتاهية في الزهد)، من أشكال الأدب القصصي القديم (مختارات من كليلة ودمنة لابن المقفع والبخلاء للجاحظ)، الأدب الرومنطيقي (مختارات من "كتاب العواصف "لجبران خليل جبران ومن شعر أبي القاسم الشابي)، المسرحية (دراسة مسرحية "مراد الثالث" للحبيب بولعراس التونسي)، من الفكر العربي الحديث (مختارات من كتاب إمرأتنا في الشريعة والمجتمع "للطاهر الحداد التونسي).

– **بالسنة الثالثة:** يدرس المتعلم في السنة الثالثة بشعبة الآداب: الأدب والمقال وتحليل النص والمطالعة والمحفوظات وسيدرس مستقبلاً أي سنة 2000–2001 في محاور الأدب: الشعر العربي بالمغرب في القرن الخامس للهجرة

(مختارات من غزل ابن زيدون، مختارات من رثاء علي الحصري)، نماذج من النثر القصصي في القرنين الرابع والخامس للهجرة بالمشرق والمغرب (مختارات من مقامات بديع الزمان الهمذاني ومن كتاب "طوق الحمامة" لابن الحزم) الشعر العربي الحديث: (مختارات من ديوان "أنشودة المطر "لبدر شاكر السياب ومختارات من شعر نزار قباني المرأة)، فن الأقصوصة (مختارات من مجموعة "حادثة الشرف" ليوسف إدريس").

– **بالسنة الرابعة:** يدرس المتعلم: الأدب، المقال، تحليل النص، المطالعة، المحفوظات وسنعرض محاور الأدب فقط: أبو الطيب المتنبي (مختارات من ديوانه في المدح والفخر والهجاء والرثاء)، أبو العلاء المعري (قسم الرحلة من "رسالة الغفران" و"اللزوميات")، الجاحظ (مختارات من "الحيوان" و"الرسائل"، "البيان والتبين"، أبو حيان التوحيدي (مختارات من "الإمتاع والمؤانسة")، المسرح الذهني (مختارات من مسرحية "السدّ" لمحمود المسعدي التونسي ومن مسرحية "شهرزاد" و"أهل الكهف" لتوفيق الحكيم)، الرواية العربية الحديثة (مختارات من "حدث أبو هريرة قال " .. لمحمود المسعدي ومن رواية "اللص والكلاب " ورواية "الشحاذ " لنجيب محفوظ).

وعلى غرار ما أنجزت من تآليف في التسع سنوات من التعليم الأساسي فقد ألف تونسيون كتباً نذكر منها ما يتعلق بالأدب والتفكير الإسلامي، والكتب جميعها طبعها المركز القومي البيداغوجي التابع لوزارة التربية .

إنّ الجمهورية التونسية وجهت اهتماماً كبيراً إلى تعليم الناشئة كافة وخصصت اعتمادات مالية هامة من حيث مقاديرها ومن حيث نسبتها إلى الدخل القومي وتجدر الملاحظة أن الدولة التونسية تخصص سنوياً لقطاع التربية، منذ الاستقلال 7% من الناتج الوطني الإجمالي PIB، أي ما يقارب 25% من الميزانية العامة،

إيماناً منها بأن التربية هي الركيزة الأساسية للتنمية وللتطور الاجتماعي والاقتصادي.

وتبرز المعطيات المتعلقة بالمصاريف العمومية المخصصة للتعليم الابتدائي، مقارنة بالمصاريف العمومية الجميلة الممنوحة لقطاع التربية أهمية المرحلة الابتدائية داخل النظام التربوي فخلال العشرية الأخيرة عرفت المصاريف المخصصة لهذه المرحلة تطوراً متدرجاً، ناهيك أنها قدرت سنة 1998 بنسبة 43.4% من مجمل المصاريف العمومية المرصودة لفائدة التعليم.

كذلك اهتمت وزارة التربية بالتكوين المستمر الذي شهد في السنوات الأخيرة تنامياً مطرداً كما وكيفاً.

وهو يخضع إلى إدارة خاصة للتكوين المستمر تدعمت بـ 23 مركزاً جهوياً للتربية والتكوين المستمر موزّعة على ولايات الجمهورية كافة، أي 23 ولاية (أو محافظة).

وبدخول قانون جويلية 91 المتعلق بالإصلاح التربوي حيز التطبيق استوجب اتخاذ العديد من المبادرات أفادت مبدئياً جميع مدرسي مرحلة التعليم الأساسي الأولى أي ست سنوات الذين يبلغ عددهم 60.000 معلماً، ومدرسي مرحلة التعليم الأساسي الثانية، أي ثلاث سنوات، والتعليم الثانوي، أي أربع سنوات، الذين يبلغ عددهم حوالي 40.000 أستاذاً و 5000 من المتفقدين والمرشدين والمديرين والنظار والقيمين والمحضرين الذين يمثلون جزءاً من باقي أصناف وزارة التربية وقد اضطلع بهذا التكوين 1234 مكوناً من المتفقدين والمرشدين في مرحلة التعليم الأساسي الأولى بالإضافة إلى 600 مكون في التعليم الثانوي مع بعض الأساتذة الجامعيين والخبراء التونسيين والأجانب.

وهذا التكوين يتم بالمدارس والمعاهد الثانوية أو المراكز الجهوية للتكوين المستمر بمعدل 6 أيام في السنة بالنسبة إلى المعلمين و 8 أيام في السنة بالنسبة إلى الأساتذة وكذلك خلال العطل التي تتخلل السنة الدراسية والعطلة الصيفية في ما يسمى "المدارس الصيفية".

والملاحظ أن انتداب الأساتذة في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي وفي التعليم الثانوي أصبح منذ سنة 1999 بمناظرة "شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي "وتعميق التكوين الصناعي بجانبيه النظري المتصل بعلم النفس التربوي وطرق تنشيط المجموعات، والتطبيقي خلال سنة التكوين الأخيرة بحضور دروس نموذجية ومناقشتها وتأهيل المدرسين لاستعمال الوسائل التكنولوجيا الحديثة، نخص بالذكر منها الإعلامية، ولاستخدامها في التدريس وتجذير مبدأ التقويم الذاتي المتواصل في المدرسين لتحديد حاجاتهم في التكوين والسعي إلى التكون في ضوئه.

وراهنت الدولة التونسية على المتعلم ليكون على اتصال بالعلم والتكنولوجيا والثقافة والاستمرار في التعلّم لمواجهة الحاجات المتغيرة لتحقيق المجتمع الديمقراطي السليم والإسهام في التغيير الحضاري ومن المسلّمات أن التعليم ارتبط بأنشطة محو الأمية لتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي الثقافي وأن الحمل كان دائماً على المدرّس المربّي وقد قال سيادة رئيس الجمهورية بمناسبة يوم العلم بقرطاج يوم 17 جويلية 1998: "إنّنا نولي كل ما يتصل بقضايا التربية والتعليم والتكوين عناية خاصة، ونتعهده بالمتابعة والتقييم والتطوير بكلّ حرص.

وقد مكّن الإصلاح التربوي الذي بادرنا به منذ بداية العشرية الماضية، من ضبط الأهداف والوسائل، وإعادة هيكلة نظامنا التربوي والتكويني، ومراجعة البرامج والكتب المدرسية، بما يضمن التكوين المتوازن لأطفالنا.

وانطلقنا من كلّ ذلك من إيماننا بأن التعليم حقّ مشروع لجميع التونسيين والتونسيات، وقاعدة لكلّ تطور حضاري، ومقوّم جوهري للرقي والتقدم في كافة المجالات.

ولا شكّ أن إقرار إجبارية التعليم ومجانيته، في المرحلة الأساسية، كان من أهمّ مكاسب ذلك الإصلاح، فلأول مرة في تاريخ تونس، تبلغ نسبة تمدرس الأطفال، الذين هم في سن السادسة 99.1%.

ولأوّل مرة أيضاً، تبلغ نسبة تمدرس الذين هم بين السادسة والثانية عشر 92.3%.

وبإقرار إجبارية التعليم فإنه يمكن أن نشير في هذا المجال إلى أن المعدل الصافي لالتحاق البنات بالمدرسة قد بلغ 84.6% وذلك خلال السنة الدراسية 1998-1997 وهو رقم يغني عن كل تأويل خاصة إذا ما قارناه بالأرقام المسجلة في هذا المجال داخل بلدان أخرى مماثلة لتونس.

كذلك نلاحظ وبكل اعتزاز أن اختيار تعميم التربية والتعليم حقيقة لا شعار: نجد في الابتدائي سنة 1956: 226.919 تلميذا من جملة 3 ملايين ونصف ساكن تقريباً، ونجد سنة 1994: 1.467.411 من جملة 8 ملايين و800.000 ساكن تقريباً، ونجد سنة 1998-1999: في التعليم الأساسي بمرحلتيه أي تسع سنوات 1.949.074 تلميذاً، ونجد 373.593 في التعليم الثانوي والتأهيل التقني والمجموع العام التلاميذ في الأساسي والثانوي والتقني سنة 1998-1999 هو: 2.392.667 (أي إذا أضفنا عدد التلاميذ الأساسي والثانوي إلى طلبة العالي نجد أكثر من 2.500.000 تلميذ وطالب. هكذا فإن ربع سكان الجمهورية تقريباً هو في المؤسسة التربوية إذ يقدر عدد السكان شهر مايو 1999

بـ 9 ملايين و 44200 ساكناً. وتعليم الدولة التونسية ناشئتها داخل حدود الوطن لا ينسيها أبناءها في الخارج .

ج- **التعليم العالي:** إن إعداد اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية يتم في إطار الإجازة أو الأستاذية وإعداد الأساتذية في اللغة العربية وآدابها مر بمراحل أربع على الأقل:

- سنة 1957، سنة بعد الاستقلال أنشئت "دار المعلمين العليا" وهي أول مؤسسة جامعية تونسية وكانت "الإجازة في اللغة العربية وآدابها" تدوم بها أربع سنوات، وتخصص إلى شهادات في التكوين العام، في فقه اللغة، في الحضارة الإسلامية، في الأدب العربي القديم والحديث، في أدب الفرنسية ولغتها وفي اللغة الإنجليزية. ودرّست بهذا النظام أيضاً أول كلية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 9 أفريل بتونس .

- وفي الستينات إلى السبعينات كانت الإجازة كما يلي:

- **في السنة الأولى:** تكوين عام: أدب، لغة، منهجية، وأساليب البحث والترجمة (نقل من العربية إلى الفرنسية) وتعريب (نقل من الفرنسية إلى العربية).
- **في السنة الثانية:** شهادة الحضارة العربية الإسلامية والترجمة (تعريب ونقل).
- **في السنة الثالثة:** شهادة اللغة: الأصوات، النحو، المعجم.
- **في السنة الرابعة:** شهادة الأدب (أدب قديم وأدب حديث) مع شهادة في أدب الفرنسية ولغتها وفي اللغة الإنكليزية.

- وفي الثمانينات أصبحت "أستاذية اللغة العربية وآدابها" ذات مرحلتين وتدوم أربع سنوات.

- **بالمرحلة الأولى:** في السنة الأولى: أساسيات اللغة والأدب والحضارة والتعريب (الترجمة من الفرنسية إلى العربية)، وفي السنة الثانية: نحو وأدب وبلاغة وعروض وحضارة ولغات وترجمة (تعريب من الفرنسية إلى العربية ونقل من العربية إلى الفرنسية).
- **بالمرحلة الثانية:** يدرس الطالب خمس شهادات وهي: الدراسات النحوية والمعجمية والبلاغية، الدراسات اللسانية، الحضارة، الأدب، النقد الأدبي وشهادة تكميلية مثلا البيداغوجيا وعلم النفس.

-ومنذ سنة 1994، ضمن الإصلاح التربوي الشامل الحالي، تمّ إصلاح"الأستاذية في اللغة والآداب العربية"، وهي ذات أربع سنوات موزعة على مرحلتين: المرحلة الأولى تدوم حوالي 1000 ساعة والمرحلة الثانية تدوم حوالي 800 ساعة وهي أستاذية ثالوثية التكوين أي: "المعارف والمهارات والمواقف" وبها ثلاث مسالك: أستاذية عامة، أستاذية للتعليم يطلب فيها من الطالب أن يحصل على وحدات إجبارية وأخرى اختيارية ومن بين الوحدات الاختيارية : وحدة في علم النفس التربوي أو تعليمية العربية ووحدة في تقنيات الترجمة أو أدب أجنبي، أستاذية في البحث: يطلب فيها الطالب إلى ما اشترط في أستاذية التعليم أن يحصل على وحدة على الأقل في اختصاص البحث.

هكذا نلاحظ أن إعداد أستاذ اللغة العربية في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي وفي التعليم الثانوي إعداد متكامل مرضي في "إجارة العربية" بالنظام القديم أو في "أستاذية العربية" بالنظام السابق أو في "أستاذية العربية" بنظام الوحدات.

وإليكم ما يدرس الطالب والطالبة حالياً:

ويحسن الآن في رأينا أن ندفق بعض المفاهيم وأن نفرق بين التعليم والتربية لا سيما وأن معلم اللغة العربية مرب أو لا يكون: الفرق بين التعليم والتربية أنهما في اختلاف وائتلاف أي: التعليم يزوّد بالمعلومات والتربية تنمي ملكات الإنسان وتطورّها.

التعليم يسمو بالفكر والتربية تسعى إلى السموّ بالنفس، التعليم مجموعة وسائل والتربية هي الغاية، للتربية أسبقية على التعليم، إذ أنها تؤسس الإنسان ومعنى ذلك أنها التكوين والتوجيه الأخلاقي والعقلي لشخص من الأشخاص والشخص المقصود هو المثقف.

وثقف ثقفاً الشخصُ: صار حاذقاً فطناً، وثقف العلم والصناعة: حذقهما وحذق الشيء: ظفر به.

نلاحظ ما في الثقف من وجهين، نظري وتطبيقي، إذ ثقّف الشيء: سوّاه وقوّمه، وثقّف المدرّس المتعلّم: علّمه ودرّبه وهذّبه وأدّبه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "أدّبني ربّي فأحسن تأديبي".

فالمدرّس بمثابة الثقاف أي أداة تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل فهو إن كان ذلك كذلك فعليه أن يكون ذا ثقافة بسيطة لأنّ لها دلالة، لأنها تنظم التجربة، لأنّها نقد مستمر وتعلم مستمر وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "اطلب العلم من المهد إلى اللحد".

هكذا نعد مدرّس العربية على أن يكون قادراً على بلورة الأفكار وتلخيصها بوضوح دون نقصان في تحقيق الغاية وإظهار الفائدة منها.

– وأن يكون مبتعداً عن الإطالة وأن يستعين بالأساس في كلّ القضايا الدلالية والصرفية والنحوية والأسلوبية وأن يتخلل دائماً شرحه الترغيب

والإثارة وأن يكون لعلمه ولذاته مقوماً. الكلمة الأساسية فيما ذكرنا هي "التقويم" والتقويم هو معرفة قيمة ما نعلم من فكرة أو مهارة أو قدرة أو استعداد أو نشاط أو سلوك، كل هذا بالنسبة إلى أهداف يرام تحقيقها وتقترح الوسائل لتلافي النقص فيها". وهناك عدد من الأسس والقواعد التي تُبني عليها عملية التقويم منها:

- أن يكون التقويم مرتبطاً بأهداف واضحة، وأن يكون شاملاً كل أنواع الأهداف وكل جوانب البرنامج، وأن يكون يتناول فيه المتعلم الطرق والوسائل التعليمية، وأن يعتمد أدوات تتميز بالصدق والثبات والموضوعية مع ما للعملية التقويمية من ذاتية، وأن يكون التقويم عملية يتعاون فيها كل الأطراف من المدرس والمدرّس، وأن يكون عملية مستمرة لا تنتهي يبيّن البرنامج بل هي تعديل وتطوير وتواصل، وأن يكون تشخيصاً علاجياً يبيّن القوة والضعف ومن ثمّ الدعم والتدارك والعلاج، وأن يكون موضوعياً وإن كان ذاتياً، عادلاً، والعدل قيمة نسبية منصفاً والإنصاف قيمة مطلقة أو تكاد، وأن يتصف بالاقتصاد وقتاً ومالاً وجهداً قدر الإمكان، وأن يكون التقويم قابلاً للتعديل أي ينبغي قبول فكرة تقويم التقويم.

كذلك للتقويم وظائف أساسية يحسن الإشارة إليها أي: تقويم نتائج المناهج وقيمة البرنامج ذاته والإجراءات الإدارية التنفيذية لعملية التقويم، وأنواع التقويم كثيرة ترتّب بحسب معطيات تضبط مسبقاً.

- أمّا مبادئ الاختبارات الأساسية – أو الامتحانات وإني أرفض مقولة "يوم الامتحان يكرم المرء أو يهان" فهي في نظرنا ما يلي: على الاختبارات التحصيلية أن تقيس نتائج تعليمية محددة تكون متّسقة مع الأهداف التدريسية، وأن تغطي عينة ممثلة من النتائج التعليمية والمادة المتضمنة في

التدريس وأن تحوي أنواعاً من الأسئلة تكون ملائمة لقيس الناتج العلمي المرغوب فيه، وأن تتصف بالثبات، وأن يتخذ الحذر في تفسير نتائجها.

إذن فعلى المربي في اللغة العربية في التعليم العام أن يكون على وعي بمقاييس التقويم حتى تكون دروسه مرضية والاستفادة منها صالحة أي: مقاييس تقويم الشكل العامّ للدروس، مقاييس تقويم مادة الدروس، مقاييس تقويم الطرق البيداغوجية (التربوية) في عرض المادة، مقاييس تقويم لغة الكتاب، مقاييس تقويم المعينات بالكتاب.

مقاييس تقويم التلميذ والتلميذة وبالخصوص على مدرس اللغة العربية في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي أن يكون مدركاً التقويم النوعي لا سيما وأن مسؤولية تكوين الناشئة عليه أكبر من غيره فينبغي له أن يسأل نفسه:

- هل توفر مادة الدرس المعلومات الأساسية التي يجب أن يلّم بها التلميذ؟
- هل تراعي مادة الدرس المستوى الوجداني للطفل؟
- هل تراعي مادة الكتاب المستوى النفسي حركي للطفل؟
- هل ثمة ترابط بين مختلف عناصر كل درس؟
- هل أن تبويب الموضوعات في تدرج منطقي؟
- هل تعالج المادة مشاغل البيئة التونسية؟
- هل يسهم المحتوى في تنمية الاعتزاز بالانتماء إلى الوطن التونسي وإلى الأمة العربية الإسلامية؟
- هل يراعي الكتاب الترابط مع المواد الأخرى في العلوم الإنسانية وفي العلوم الصحيحة؟ هل تتماشي لغة الكتاب الشروح وظيفية؟ هل يتم الرجوع إلى

المصطلحات الجديدة في الدروس الموالية قصد التركيز بالاعتماد على وضعيات مغايرة؟ بالاعتماد على الوضعيات ذاتها؟ – هل تخدم وسائل الإيضاح أغراض المادة؟ – هل المنطلقات منوعة؟– هل هي مشوقة؟ – هل هي واضحة المقاصد؟– هل يعتمد فيها أسلوب القصة؟ أسلوب السرد ؟ أسلوب التشويق؟ أسلوب الحجاج؟ هل تتضمن كل الدروس تمارين اختبارية وتمارين تطبيقية وتمارين تقويمة ذاتية؟ هل تصاغ التمارين صياغة واضحة لاختبار كسب التلميذ طرق التحليل والتأليف؟ هل يخضع ترتيبها إلى تدرج في معالجة الصعوبات؟ هل تمكن من تركيز المكتسبات السابقة؟ هل تحث طريقة التدريس المعتمدة على الملاحظة؟ على التحليل؟ على الاستنتاج؟ على اكتساب الخبرات؟ – هل تمكن الطريقة من تحقيق الأهداف النوعية الواردة بالمناهج؟– هل تخدم الأهداف النوعية لكل درس؟

وفي حقيقة الأمر ما اتضح في الذهن فُصح على اللسان، والفصاحة فصاحات وهي سلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف مما يستوجب من المدرّس أن يفصح على المراد بتعابير واضحة ولغة سليمة خالية من اللحن، والواقع لدينا اليوم رغم تطوّر المدرّس المعرفي والتربوي الصناعي أن نستمع إلى درس في العربية بلغة فصيحة تتخللها بعض كلمات من العربية الوسطى أحياناً، وهذا ما نرغب عنه ويحرص المتفقدون إلى الإشارة إليها لا سيما وأن المدرسين على كسب للغتهم العربية الفصيحة قولاً وكتابة.

وهذه القضية اللغوية تبسط علينا أمر لغة تدريس التعليم أشئنا أم لم نشأ في التعليم الأساسي وفي التعليم الثانوي، وتبسط علينا أيضاً أمر تكوين أو تدريب المدرسين على لغة التدريس تدريباً متكاملاً كافياً، أي تدريباً أساسياً وتدريباً مستمراً وقد اعتمد السادة المتفقدون (أو المفتشون، أو الموجهون) في إعداد التقرير التأليفي

بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي إلى: كفاية المدرس علمياً، وتربوياً صناعياً، مدى نجاعة طرق التدريس والتقويم، مدى ملاءمة الوسائل التعليمية لمستوى التلاميذ ولطرق التدريس وتوفّرها واستثمارها، مدى انعكاس التكوين المستمر على عملية التعلم في القسم.

ولقد لاحظنا أن تعريب الرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم التقنية في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي أثر بعض التأثير السلبي في تدريس اللغة العربية لأن أستاذ العلوم الذي اضطر منذ ثلاث سنوات خلت إلى استعمال وسائل تعليمية بالعربية لا بالفرنسية لكن يرجى بعد سنتين أو ثلاث أن يصبح أستاذ العلوم، بعد التدريب لسانه على العربية سليم اللسان فصيح، "والمدرس الفاضل هو ذاك الذي إذا درّس أجاد أفاد وإذْ أفاد استفاد": "إذا" تفيد الظرف والزمان أي ينبغي أن يُعد المدرس درسه ليجيده وأن يستعمل طرق التدريس السليمة حتى يبلغ علمه فيفيده، و"إنْ" أداة تفيد الشرط الممكن أي أنّ الإجادة مرتبطة بالتدريس المرضي، وعند إفادة التلاميذ يستفيد المدرس، "إذْ" تدل على هذه عملية التدريس الجدلية، المعلم أو الأستاذ في تكوين مستمر، هو يُبشّر بخير علمه أي يعد وهو يباشر صناعة صعبة وأمامه بشر: بشْر فليكن معهم بشيراً أي متهلّلاً، حسن القسمات مقبلاً بما هو سار مفرح ولسان حاله في نهاية كل درس بُشْرى لكم بما تعلمتم ومسرّات .

ولئن كان، في التعليم الأساسي والتعليم الثانوي، لمدّرس اللغة العربية والمربّي القدرة على ما ذكرنا من علم فهو سلوك ومواقف أي الدخول إلى الفصل في وقار بلا تزمّت، وقيام وقعود بلا ابتذال وحركة مستمرة، ولباس مرضي ينفُر عن الأسمال أو ما يحاكيها مثلاً "بلوجين"، وتحليق باحتشام، واحترام صفاء هواء الفصل فلا تدخين ولا تلوّث، إن لآداب التدريس مواصفات فليكن مدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية آتياً بها قائماً عليها محترماً إياها.

هكذا يعطي المدرس إلى الفصل قيمته ويرجع إلى المدرسة هيبتها ويقف ضد اللامبالاة إزاء اكتساب اللغة العربية الفصيحة الاكتساب العلمي العملي المرضي، إذ يبلغ اللغة بإيمان ولا فتور، بحماس وعدل لأنه لا يبدو كممثّل على خشبة المسرح بدون سابق تمرين لأنه رسول قيم ثلاث –وهي:– الأمانة العلمية، – الاجتهاد الذهني فالتفكير النقد والبحث المستمر، –تعليم المتعلمين العمل الجماعي بروح التعاون ونبل التضامن سعياً إلى العمل المتقن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". هذا هو المدرس الفاضل والفضل هو الزيادة من كل شيء علم وسلوك وقيم ثلاث.

إذن لتدريس اللغة العربية قواسم أو مقامات مشتركة مع تدريس العلوم الإنسانية والصحيحة لأن للعملية التربوية مساراً وسعياً إلى تحقيق تنمية اللسان العقل والوجدان معاً لتمكين الناشئة من معرفة علمية وعملية سلوكية مرضية.

إنّ إصلاح النظام التربوي وتكيفه بما يتماشى وحاجات العصر والغد سنة 2001، وما أقبلت عليه وزارة التربية في التعليم الأساسي والتعليم الثانوي من عقلنة وتفتح وتجديد وتجدّد لأحسن دليل على حرص الدولة التونسية على أن تكون دعامات نظامها التربوي ثابتة متأصلة متعصّرة .

فلنجتهد نحن مدّرسي اللغة العربية جادّين ولا نتواكل حتى لا تكون معارفنا يوماً تتآكل، فليكن لعملنا صدى بعيد عن الصدأ إذ هو متجدد مُتطور مُحّدث مُبلّغ أحسن تبليغ.

إن اللغة العربية في المدرسة التونسية أساس التربية عامة والتربية لا يمكن إطلاقاً فصلها عن اللغة العربية والإسلام، وهو دبن خالد: اتصال زماني مكاني بفضل اللغة العربية لغة القرآن الكريم فلا بد للمربي من أن يتمثل تربية أطفال حسب المناهج المتطوّرة، أي يحسن به أن يكون متمكناً من اللغة العربية ومن

مقومات التربية التقليدية والتربية الحديثة المعاصرة، وكلاهما من التربية الوظيفية باعتبار مختلف الوظائف النفسية للتلميذ من ذكر وأنثي وباعتبار تطورهما المستقبلي مرحلة نمّوها، ولا بد للمعلم المربّي أيضاً من أن يكون على صلة وثيقة بما يجري في البيئة الأولى بالبيت، وفي البيئة الثالثة من تنظيمات تلميذية ونواد تربوية قد تعلّم وتربّي، وأيضاً من فضاء شارعيّ فوضويّ هدّام قد يفسد ما يبصرّ هو من قيم أخلاقية سليمة قد يهدّمها الشارع ولا يذر.

إن مدرّس اللغة العربية في صراع مع العربية مع المنطوقة اللحن: مثلاً في الإذاعة نستمع إلى مثل هذه الأخطاء "شركاءُ" عوضاً عن "شركاء" "هاذان" عوضاً عن "هاتان" أن الدولة "الأعظم" عوضاً عن "العظمى" بقينا "عوضاً عن "بقينا" "بقوْا" عوضاً "بقُوا" "أراض" عوضاً عن "أراضي" "ثلاثين طائرة" عن "طائرةُ"، "تواجد" عوضاً عن "وجود" وبالتالي" عوضاً عن "ومن ثمّ".

هذه الأخطاء وهي قليل من كثير ليست تونسية بل تسمع في أغلب الإذاعات العربية والمدرّس أيضاً في صراع مع اللغة الدارجة خاصة تلك التي غزت لافتات الدكاكين والمغازات وشاعت في الاشهارات.

إنّ المربي في صراع مع التربية المعاصرة، وفي صراع أيضاً مع المعاصرة التي زحفت عليه وعلى مجتمعة بنماذج دخيلة، فكم من لفظة عربية سليمة علمها تلاميذه، داخلتها ألفاظ دارجة أو فرنسية فأربكت التلميذ ومال إليها استعمالاً شفوياً أو كتابياً، وكم قيمة أخلاقية بلّغها المربي تلاميذه هدّمتها هذه المعاصرة.

فاللغة العربية إذن أصبحت مادّة من مواد المشروع المجتمعي الحضاري الوطني الذي تتحمل أمره وزارة التربية فحسب، بل الدولة والمجتمع، خصوصاً وزارة التربية، وزارة التعليم العالي، كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا، وزارة الشؤون الاجتماعية، وزارة الشباب والرياضية والطفولة، وزارة الثقافة بأجهزتها التثقيفية

المختلفة من أغنية قد تكون لغتها هدّامة، إلى مسرح قد يكون صداه عبثاً، إلى سينما قد يكون خلاعة، ووزارة حقوق الإنسان والاتصال والعلاقات مع مجلس النواب، والإدارة العامة للإذاعة والتلفزة التي لها السلطة العظمى في تبليغ ما تشاء إن خيراً أو شراً عن طريق الصحافة المكتوبة والصحافة المسموعة وبرامج الإذاعة وبرامج التلفزة لا سيما المتعلقة منها بالأطفال والتلاميذ، والتلفزة تدخل عليك بيتك بدون استئذان ومنظمة التربية والأسرة أيضاً والمعلم في التعليم الأساسي يسعى جاهداً أن يطبق مواد جديدة في تدريسه حسب مناهج متجدّدة:

- **التربية الصحية:** منذ 1988 وهي تساعد على إدراك التلاميذ المشاكل المرتبطة بالصحة: التغذية، النظافة، الصحة النفسية، المحيط وهي من توصيات الإعلان العالمي بحقوق الطفل.
- **التربية السكانية:** منذ سنة 1987 ومن أهدافها إدراك العلاقات بين النمو الديمغرافي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، التعامل ومتطلبات التوازن بين المجموعة السكانية ومواردها قصد تحسين نوعية الحياة.
- **التربية من أجل السلم:** وهي متصلة بنشر "القانون الدولي الإنساني يحاول المعلم أن يدرّس مفاهيمها بطريقة عرضية من خلال مختلف المواد.
- **التربية البيئية هي:** نشاط غير منتظم ينجز غالباً في إطار النشاط الاجتماعي الثقافي بالمدرسة داخل نوادي البيئة، ومن مبادئ التربية البيئية: حق الأجيال القادمة في محيط سليم، وواجب كل مواطن في الإسهام في عملية التنمية المستديمة.

والمعلم يسعى، لمواجهة ظاهرة الرسول والانقطاع أن يطبق في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي برنامج "الكفايات الأساسية" الذي يعتبر مشروعاً

ضخماً للبحث والتكوين والتجريب وهو يهدف عن طريق وسائله البيداغوجية إلى ما يلي: تحسين المردود الداخلي للنظام التربوي والرفع من كفايته، تحقيق تكافؤ الفرص داخل المؤسسات التربوية بهدف الحدّ من الفوارق التي كشفت عنها عمليات التقويم، الترفيع في نسب النجاح وتجويد نوعية التعليم مع العمل على تحسين التجهيزات البيداغواجية وتكثيف الدعم العائلي للتلاميذ خاصة بالأوساط الريفية .

هذا ويسعى برنامج الكفايات الأساسية إلى التدّخل خاصة في مستوى الممارسات البيداغوجية وذلك بالكفايات التالية:

- تخصيص المزيد من الوقت للتعليمات الأساسية قصد تمكين التلاميذ من إكساب الكفايات الضرورية التي من شأنها أن تجعلهم قادرين على مواصلة الدراسة في المستويات والمراحل اللاحقة بكيفية عادية.
- بالاعتماد المنتظم على عمليات التشخيص والعلاج التي تهدف إلى القضاء في الإبان على مختلف الصعوبات المرتبطة بالتعليمات الأساسية.
- بجعل التعلّم يتضمن مجموعة من الأنشطة الإدماجية ويمكن أن نلاحظ في هذا المستوى أن برنامج الكفايات الأساسية يعتمد في نطاق الممارسات المنجزة داخل الأقسام على المقاربة الجديدة للتعلم تقوم على بيداغوجيا أو تربية الإدماج التي ينبغي أن تمارس خلال ما ينجز من الأنشطة اليومية داخل الأقسام.

كما تمّ إرفاق هذا المشروع بالعمل على تخفيف المناهج قصد تمكين المعلم من العناية بعدد محدود من الكفايات التي يجب أن يتحكم فيها التلاميذ. ومن مزايا هذه المقاربة أنها تعمل على الحد من تأثيرات تراكم الفشل الذي يمثل إحدى

سلبيات التعليم المقام على نموذج التقويم الجزائي كما أنها توفّر حظوظاً أوفر في مجال إنجاز البرامج التعليمية التي تم إقرارها من قبل الوزارة.

كذلك يسعى بعض المعلمين والأساتذة على اعتماد التكنولوجيا الحديثة داخل المدرسة التونسية: لقد عرفت سنة 1992 ظهور أول تطبيقات تربوية للحاسوب مع استغلال مجموعة من الوسائل المرتبطة بهذا المجال داخل الفصول، وانطلاقاً من سنة 1997 تقرر بعث أقسام في مستوى وزارة التربية لفائدة الأساتذة قصد إتاحة الفرصة للمدرسين لإعداد أعمالهم وتجريب تطبيقاتهم التربية والتواصل في الوقت نفسه مع دخول عالم "الإنترنت".

وفي حقيقة الأمر إن معلم اللغة العربية في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي وأستاذ اللغة العربية في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي وفي التعليم الثانوي يسعى قدر الإمكان إلى متابعة نتائج الامتحانات وهي التقويم الموضوعي لمستوى تلاميذه ومن ثم لمستواه .

الامتحانات:

وإذا ما نظرنا في امتحانات السنة السادسة أو نهاية المرحلة الأولى من التعليم الأساسي الحالي / أي نهاية التعليم الابتدائي السابق) في مادتي الإنشاء وشرح النصّ سنوات 1969 و 1978 و 1999 وجدنا أن الحرص هو أن تكون الاختبارات مقوّمة بالفعل مستوى التلاميذ فهماً وتحريراً واكتساب لقواعد الصرف والنحو.

وإذا ما نظرنا في نتائج امتحانات السنة السادسة وجدناها لا تتجاوز الـ 30% إلى نهاية السبعينات لسبب أن التلاميذ يختبرون باللغة العربية وباللغة الفرنسية في بعض المواد (منها مادة الحساب ومادة التحرير بالفرنسية ومادة شرح النص بالفرنسية) ولسبب صعوبة مقاييس الإصلاح. أما النتائج بعد عقد من الزمان بعد

تعريب كل المواد، باستثناء مادة اللغة الفرنسية، فهي في تحسن مطرّد منذ سنة 1989: 40.06%، 1990: 40.24%، 1991: 44.91%، 1992: 57.8%، 1993: 55.93% 1994: 60.07%.

والملاحظ أن التلاميذ الذين درسوا حسب النظام الجديد للتعليم الأساسي والذي بدا به سنة 1989–1990 رأوا نتائجهم في امتحانات نهاية السادسة في تحسن مرموق: 1995: 59.65 %، 1996: 64%، 1997: 62.15%، 1998: 62.46%، 1999: 68.62% كذلك نتائج امتحانات "شهادة ختم التعليم الأساسي" (الذي يدوم تسع سنوات) فهي مرضية: 1998 سنة الامتحان الأول: 64.44%، 1999: 66%.

إنّ الحرص على التقويم الموضوعي وعلى المستوى المرضي هو من مشاغل المربين والمسؤولين بوزارة التربية ولقد تقدم في سنة 1999: 511991 تلميذاً وتلميذة حسب التوزيع التالي:

- إلى امتحان الارتقاء من السادسة إلى السابعة: 263.630 تلميذاً وتلميذة.
- إلى امتحان شهادة ختم التعليم الأساسي: 136954 تلميذا وتلميذة.
- وإلى امتحان البكالوريا: 109.647 تلميذاً وتلميذة (أولئك الذين درسوا حسب النظام القديم) ويشار على أن معلمي السنة السادسة من التعليم الأساسي يعتبرون أن نتائج مادتي الإنشاء وشرح النص في امتحان الارتقاء من السنة السادسة إلى السابعة ينبغي أن تتحسن لتبلغ نتائج التربية الإسلامية أو التربية المدنية أو الجغرافيا أو الإيقاظ العلمي أو التاريخ أي ما بين 80 و 90 في المئة .

أمّا نتائج امتحان البكلوريا سنة 1998 فهي كالتالي: شعبة الرياضيات: 56.80%، شعبة العلوم التجريبية: 48.80%، شعبة التقنية: 41.71%، شعبة الآداب: 33%، شعبة الاقتصاد والتصرف: 22.30% . أن تقويم الامتحانات في تونس صارم حرصاً على أن يكون مستوى التلاميذ يناسب مستوى الدول المتقدمة.

كذلك إن المعلّم مهتمّ بتقويم مستوى تلاميذه وحريص أن نتابع حصار مجهوداته: لقد بينت حصيلة نتائج بحث أجرى عن "المتابعة المستمر" لنوعية المكتسبات المدرسية" أن التلاميذ حققوا نتائج 71.12% وهو ما يبرز أن التلميذ التونسي مكتسب المضامين المدرجة في المناهج المدرسية وهي موزعة كالتالي:

نتائج القراءة والكتابة: 77.9% نتائج الرياضيات: 60.6% . والملاحظ أن الأطفال والبنات حققوا نتائج تكاد تكون متساوية: 77.7% للأطفال و 71.3% للبنات.

كذلك يسعى المعلم والأستاذ – قدر الإمكان– إلى متابعة البحوث والدراسات المتعلقة بمادة اللغة العربية وبالتقويم خاصّة.

والمعلم والأستاذ حريصان على تطبيق توجّهات مدرسة الغد، وفي إطار مراجعة النظام التربوي وتطويره قال رئيس الجمهورية التونسية الرئيس زين العابدين ابن علي يوم 7 نوفمبر 1998:

"إن المدرسة منبع الأصالة ومفتاح الحداثة، وإن كان من ينظر التحولات حتى تقع ولا يعدّ بعد ذلك الناشئة لمواكبتها يضع نفسه في نظرنا خلف ركب التطوّر الإنساني.

لذلك بادرنا منذ التحوّل بإصلاح نظامنا التربوي في كل مستوياته وبمختلف اختصاصاته وأذّناً منذ سنة بالشروع في وضع الملامح التي نريدها لمدرسة الغد واستشراف ما عسى أن تكون وظائفها المستجدة ووسائل المستحدثة في ضوء ما يجري من تطوّر متسارع لتقنيات الاتصال والتدريس والمعارف العلمية والتكنولوجية، ولعالم العمل والإنتاج بمكوّناته المتعددة".

ولقد شاركت لجنة منبثقة عن "جمعية قدماء المدرسة الصادقية" بدراسات حول مدرسة الغد وكان لي أن اهتمت "بغائية التربوي وأهدافه" وأشرت في هذه الدراسة إلى ما يلي:

- أخذ في الاعتبار أنّ القرن القادم هو قرن الانفجار المعرفي، السريع الضخم المعتمد على الذكاء البشري والاصطناعي، وأنّ القرن القادم هو قرن العولمة أو الكونية، قرن صراع الوجود.
- وإيماناً بأنّ مفهوم "العلم للعلم "أو" التعلّم للمعرفة " تجاوزه الزمان وأصبح غير مقبول، لأن التعليم صار عملية استثمار للفرد والمجتمع أي: أن الاستثمار البشري يتحقق بتزويد الفرد بالمعلومات الإنسانية والعلمية والتقنية وبالقيم والسلوكات والاتجاهات والمهارات والخبرات:
- واعتماد على ما جاء في الفصل الأول من الدستور (جوان(يونيو) 1959: "تونس دولة حرة مستقلة" ذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها، والجمهورية نظامها"، وما جاء في الميثاق الوطني (7 نوفمبر 1988)، "... أنّ المجموعة الوطنية مدعوّة لدعم اللغة العربية حتى تكون لغة التعامل والإدارة والتعليم.... وأنّ التعريب مطلب حضاري متأكد وهو من أهمّ الضمانات لتحويل المعاصرة إلى مكسب شعبي ولجعلها جزءاً من الذهنية العامة، ويتحتم السعي إلى تطوير اللغة الوطنية والارتقاء بها حتى تنهض بكفاءة واقتدار بقضايا العلم والتكنولوجيا والفكر المعاصر خلقاً وإبداعاً وحتى تسهم عن جدارة في حضارة الإنسان".
- واستناداً إلى أن "مدرسة الغد" هي مدرسة التونسيين كافة عليها أن تستعد إلى الطفرات المستقبلية استجابة إلى توصيات المؤتمر العالمي حول "التربية للجميع" المنعقد في جومين بتايلندا (5-9 مارس 1990) وتوصيات " الندوة العالمية للتعليم للجميع" في داكار بالسنغال (26-28 أفريل 2000) اللذين أكدا على ضرورة ربط التربية بضمان حقوق الطفل والمرأة أي ضمان إنسانية التي تواجه يومياً الجهل والتعصّب والأنانية والمصالح الضيقة الفردية والجماعية والبعد عن الخير والجذب إلى الوراء.

فإنّ غائية النظام التربوي أي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي بمرحلتيه والتعليم الثانوي هي: "تكوين تونسي عربي مسلم تكويناً متكاملاً متوازياً خلقاً وخُلقاً

يحقّق الشعوب بالهوية التونسية العربية، ويضمن روح المواطنة والحسّ المدني والالتزام بالحقوق والواجبات والوعي بالحوار الرشيد مع النفس ومع الآخر في احترام واعتدال، ويمكّن، باستعمال العقل وبإتقان اللغة العربية ولغتين أجنبيتين الفرنسية والإنكليزية، من الانتماء إلى بلد نام متحضر يحمي ناشئته من الارتداد إلى الأمية، ويسهم باجتهاده وبفضل "الأمن المعرفي" المكتسب، في التنمية الشاملة وفي العولمة والقيم الإنسانية".

ينبغي إذن، لتحقيق غائية النظام التربوي وأهدافه، وتعميق الوعي لدى المتعلم بأهمية الموارد البشرية وإنجازات البلاد ووجوب تنميتها وصيانتها بالتعليم الذاتي، النظر في المؤسسة التعليمية من حيث الإدارة تصرفاً إدارياً وتربوياً وبيداغوجيا، والمدرسة بمديرها وعلى مديرها، ومن حيث التجهيزات ومن حيث المناهج والبرامج، والوسائل التعليمية، وأطر التدريس، ومن حيث تقويم المنظومة بكل عناصرها تقويماً مستمراً، لخير نظام التربية وتطويره ومواكبته الحاضر والمستقبل ومواجهة تحديات العولمة، ونحن بقرية كونية لا متناهية التفاعل لا متناهية الإغناء، فعل ما ذكرته في غاية النظام التربوي يستجيب إلى مشاغل الشباب التونسي:

إنّ موضوع اللغة العربية يحملنا بالضرورة إلى عرض بعض هذه المشاغل التي هي، في رأينا مشاغل الشباب التونسي أو العربي عامة ذاك الذي ينبغي الاستماع إليه والحديث إليه وهذه المشاغل: هي، قبل كل أمر:"كفاح الوجود" والوجود صراع العمل والقوت، وكفاح الوجود هو تحقيق مثال معين في المجتمع، يبدأ الشاب التفكير فيه من السنة الثانية من التعليم الثانوي أي في سنة التوجيه إلى شعبة الرياضيات أو شعبة العلوم التجريبية أو شعبة التقنية أو شعبة الاقتصاد والتصرف أو شعبة الآداب التي لا يتحمس كثيراً التلاميذ إلى اختيارها خاصّة منهم الممتازين في كلّ المواد بما فيها العلوم، ويبدأ الشاب التفكير في الوجود في السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي، بالتحديد في فصل الفلسفة لأن علاقة الأستاذ بالتلميذ تصبح علاقة حوار والسعي إلى الحقيقة فتكون مغامرة الذهن وتكون رغبة تحقيق السعادة الحينية، وتكون الشخصية وكسب الحياة، ويكون الاصطدام بأسئلة أساسية أهمّها:

- هل سأتبع مثالاً في الحياة شرقياً تونسياً عربياً إسلامياً أو غربياً دخيلاً أم هل سأبتكر سلوكاً، آخر مزيجاً بين هذا وذاك، ذا تحرّك مفهومي وتوعية أخلاقية واستبطان لقيم الخير والعدل والحقيقة والجمال؟
- هل بلغتي العربية أستطيع أن أواكب العولمة، وهي ظاهرة تتداخل فيها السياسات والاقتصاديات والثقافات والاجتماعيات والسلوكيات وتؤثر في حياة الإنسان بهذه الأرض حيثما كان؟
- هل للغتي العربية الأدوات الكافية لاستيعاب المفاهيم الجديدة الدخيلة المتولدة كل يوم ولتقديم المصطلحات المعرّبة الملائمة؟
- هل للغتي العربية القدرة على تقديم مفاهيم جديدة أصيلة بمفردات عربية مناسبة، وعلى التعبير عن حاجات العولمة من تنافس اقتصاد السوق والتجارة العالمية إلى إرساء حوار الثقافات، إلى سبل تكامل الاجتماعيات، إلى طرائق حفاظ السلوكيات.
- هل بلغتي العربية أستطيع أن أتعامل مع وسائل المعلوماتية الهائلة أم عليّ أن أكسب كل الكسب الإنكليزية لكي أستطيع أن أتحادث إلى إخوتي العرب بلدان المشرق والخليج بلغة العمل الإنكليزية لأن العربية لا تفي بكل الحاجات التجارية والاقتصادية والعلمية والتقنية والتكنولوجية، ولكي أستطيع أن أدرك ما يدور في العالم الذي طغت عليه الإنكليزية وأكون على اتصال حيني بالعالم الأنكلوفوني وأكون في صلب "العولمة المؤمركة" وأكون قادراً على العمل وكسب قوتي في هذا الفضاء الكوني ضمن النظام العالمي الجديد الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية؟ أم هل عليّ أن أكتفي بالعربية والفرنسية التي أصبحت لديّ دون ما كانت عليه لدى الأجيال السابقة من التونسيين لكي أتحادث إلى إخوتي المغاربيين والأفارقة والعالم الفرانكفوني وأشتغل عند الاقتضاء في الفضاء المغاربي الأوروبي، وتونس في شراكة مع الاتحاد الأوروبي منذ 1995؟

أنا التونسي العربي المسلم بين الشك واليقين في أمر جوهري: هل تنصهر لغتي العربية، التي تعلمتها ثلاث عشرة سنة وألممت بها إلماماً مقبولاً أو يكاد، في العولمة؟

- **شكي هو:** أن دولتي اليوم مع الدول العربية لم تبلغ بعد حداثة الغربيين والأمريكان وبعض الأسياويين كاليابان.
- **شكي هو:** أن لغتي العربية اليوم ليست وسيلة وظيفية للتقدم العلمي والتكنولوجي والتطوّر الحضاري الإنساني، وأني في حاجة إلى معجم عربي وظفي في جميع مجالات المعرفية القديمة والحديثة.
- **شكي هو:** أن لغتي العربية ليست أداة إجرائية الاستفادة من المعلوماتية وطرق الاتصال السيارة والإفادة فيها لاقتحام النظام الكوني العالمي الجديد وقد استمعت في الإذاعة إلى أنّ – إ.ب.م (IBM) ستصنع حاسوباً ينجز في الثانية مليون مليار عملية، وبعد هذا لشك فأين اليقين؟
- **يقيني** أني ما زلت في حاجة إلى كسب لغتين أجنبيتين كبيرتين الإنكليزية والفرنسية لأكون في العالم كل حين، دون، رقب تعريب نتاج الغربيين في شتى الميادين من علوم إنسانية إلى علوم دقيقة إلى تكنولوجيا.
- **ويقيني** أني سأسهم، بفضل اللغتين الأجنبيتين – ويا حبذا لو تعلمت لغات أخرى – في تأهيل ذاتي للحداثة وسأشارك في إبلاغ دولتي التحضر السريع "ومن لا يتقدم يتأخر" كما علمني أساتذت ي ومجتمعي وقد قال الشاعر

"تأخّرتُ أستبقي الحياة فلم أجد

لنفسي حياةٌ مثل أن أتقدّما"

- **ويقيني** أن هويتي بفضل لغتي العربية التي وإن كانت لديّ مرضية يجب عليّ إكتسابها إكتساباً أفضل كتابة تحريراً في كلّ المجالات وقولاً في كل

المناسبات بدون استعمال ألفاظ دخيلة من الفرنسية أو من الإنكليزية، حتى تكون درع ثقافتي العربية الإسلامية حتى لا تندمج لغتي بسهولة في هوايات أخرى وحتى لا تمسخ مسخ اللغات الصغيرة المتآكلة المهدّدة بالانقراض، وسأقول مع الشاعر:

"ملأى السّنابل تنْحني بتواضع

والفارغاتُ رؤوسهنّ شوامخُ"

ويقيني أن تطوير اللغة العربية، كي تصبح عالمية كما كانت في العصر الوسيط هو مشروع حضاري ينبغي لكل الحكومات العربية أن تتحمله في الآن، ولكل آت من مشاغلنا، ربما في دولتنا، له جواب آت، نرجو ذلك، والكل حيرة زمان وحيرتي بعد إنهائي تعليمي هي: أن لا درب سوى العمل وأنْ لا سبيل غير الامتياز.